صور الرحلة في الادب الاندلسي

ا.م.د صادق جعفر عبدالحسين المرحلة الثالثة المادة: الادب الاندلسي

تمثلت صور الشاعر العربي الاندلسي في حديثه عن الرحلة بموضوعين هما : رحلة قوم الحبيبة عن منازلهم ورحلة الشاعر على ناقته على اختلاف مقاصده .

وقد جاءت رحلة الشاعر الاندلسي في هذا النسق الا انه (( سلك سبيلين مخالفا بذلك شعراء المشرق حين جعل رحلته برية تارة وبحرية تارة اخرى )). ومن المعروف ان الناقة وسيلة الشاعر الجاهلي التي يستعين بها على بلوغ هدفه على اننا نجد ايضا ان الشاعر الاندلسي قد وصفها في رحلته . على الرغم من ان الناقة لم تعرف ببلاد الاندلس ، وسيلة تنقل وسفر ، مما يشير الى ان الناقة في هذه الرحلة ظلت (( رمزا للارادة الانسانية التي تقتحم الاهوال من اجل تحقيق الامال )) . كما وصفوا الصحراء مع ان الغالب على طبيعة الاندلس خاصة" كثرة الانهار والرياض واذن فالمقصود من وصفهم للفلاة والناقة هو التقليد جريا" مع الاسلوب القديم . على انها وان كانت متخيلة يحكمها طابع التقليد فهي تعبر عن تجربة الشاعر الابداعية وموقفه من الحياة لان (( التجربة الابداعية لدى الشاعر لا يمكن تقييدها بمؤثرات بيئية معينة فخيال الشاعر المبدع قادر على ان يتمثل مكونات البيئة التي تخضع لها معالجاته لمجريات نموذجه الشعري بكل ما تتجسد فيه من احداث تعبر عن خلاصة تجربته في الحياة وليس ضروريا ان يمارس الشاعر رحلة حقيقية مجسدا في شعره تفاصيل احداثها ووقائعها فيأتي وصفه اياها وصفا دقيقا يرسم به صورة رحلة تنبئ مشاهدها المتنوعة بممارسة فعلية لها اذ تفاعلت حواسس الشاعر كلها لتقدم تلك الصورة بكامل ابعادها . وادق ملامحها .

وهذا التقليد لا يعني ان الشاعر الاندلسي لم يعش تجربة الرحلة الحقيقية لان النماذج الشعرية التي رصدها البحث ستدل على كثرة رحلات شعراء الاندلس صوب ممدوحيهم فكأنما الرحلة اصبحت ضرورة لديهم من اجل التكسب فحين اصبحت الرحلة ضمن المقدمة في المديح فلانها لاقت قبولا واصبحت تقليدا فنيا .

 ان الشاعر الاندلسي وصف الرحلة البرية الى الممدوح على ظهر ناقة سريعة ليبين معاناته في سبيل تحقيق ما يريد متحملا مشقة الطريق في هذه الصحراء الموحشة فهي الفضاء المفتوح لاحتضان الم الشاعر والتخفيف من وطأة احساسه بالغربة المكانية ، وهكذا عبر ( ابن بقي ت 540 هـ ) عن رحلته البرية على ظهر ناقة قوية تتحمل المتاعب والعناء وما انطوت عليه الرحلة من مجابهة المصاعب الجمة اثناء سيره في القفار والفيافي الى ان حقق غايته في الوصول الى ممدوحه في قوله :-

 ***اوضعت بــي وجناء حرف اكلتهــا السفار اكل القظيم***

##  تترك الريح خلفها وهي حيرى بين ايقاعها وبين الــرسيم

#  ***ظلت اطوي القفار بــــلام طبعتها بالميـــم بعد الميم***

#  ***فأتته والمرق قد نــال منها فهي تخطو على وظيف رئيم \****

 ***وقليلا تمتعت في الفـيافــي بسنام كـالعارض المركــوم***

 ***فأنخنا الى فناء جـــــواد ماله نهبة لكـل عـــــديم***

 ***فاكلنا لهاه اكل الضـــواري وشربنا الماء شرب الهيـم \*\****

 كما وصفوا الرحلة الليلية – غالبا – في هذا النوع من الرحلة ولعل السبب في ذلك يعود الى ان الليل من اكثر الازمنة اثارة لمعاني الوحشة والظلمة والتوحد مع النفس كما انه يثير احساسا بثبات الزمن احيانا واستطالته احيانا اخرى